ماذا نعرف عن دروز سوريا؟ وما هواجسهم في ظل الحكم الجديد؟

نخيل نيوز – متابعة

تتجه الأنظار اليوم إلى طائفة الموحدين الدروز وسط حديث عن مساعٍ لإبرام اتفاق مشابه لاتفاق رئيس المرحلة الانتقالية والإدارة الجديدة في سوريا، أحمد الشرع، مع قوات سوريا الديمقراطية (قسد).

ومنذ سقوط نظام الأسد في كانون الأول الماضي، أثيرت تساؤلات عدة حول مصير هذه الطائفة.

وجاءت التصريحات الإسرائيلية بشأن نية إسرائيل "الدفاع عن دروز سوريا"، إلى جانب توغل قواتها في مناطق جنوب البلاد، لتضيف مزيداً من التعقيد إلى الوضع الخاص بهذه الطائفة.

فماذا نعرف عن دروز سوريا؟

يُشير أبناء طائفة الموحدين الدروز إلى أنفسهم باسم "الموحدون"، أي المؤمنون بتوحيد الله، كما يُطلق عليهم أيضاً "بنو معروف". ويُقال إن اسم "دروز" يعود إلى نشتكين (محمد بن إسماعيل) الدرزي، الذي نشر دعوته في لبنان وسوريا.

ويتوزع الموحدون الدروز بشكل رئيسي في لبنان وسوريا وإسرائيل والأردن، إضافةً إلى مناطق أخرى متفرقة.

يرجع تاريخ وجود الموحدين الدروز في سوريا إلى مئات الأعوام.

وقد لعبوا دوراً أساسياً في بلاد الشام عبر مراحل تاريخية مختلفة، حيث شاركوا في معركة حطين ضد الصليبيين عام 1187، وتولّوا مهام قيادية بعد نيلهم ثقة الأيوبيين والزنكيين. كما انخرطوا لاحقاً مع المماليك ضد المغول في معركة عين جالوت.

وفي القرن التاسع عشر، وقف الدروز إلى جانب العثمانيين ضد حملة محمد علي باشا على بلاد الشام، وكبّدوا الجيش المصري خسائر كبيرة في جبل العرب جنوبي دمشق، بقيادة الشيخ يحيى الحمدان، الذي كان يحكم الجبل آنذاك.

لكن العلاقة مع الدولة العثمانية تدهورت لاحقاً، إذ ثار الدروز ضدها إثر محاولاتها المتكررة فرض سيطرتها على الجبل. وفي عام 1911، أعدم العثمانيون عدداً من زعماء الجبل بعد إحكام قبضتهم عليه، كان أبرزهم ذوقان الأطرش ويحيى عامر.

بعد ذلك، أعلن دروز سوريا ولاءهم للشريف حسين، وانضم المئات منهم إلى الجيش العربي، وكان الزعيم سلطان باشا الأطرش في طليعة مَن رفع علم الثورة العربية الكبرى، أولاً في الجبل ثم في دمشق.

وفي عام 1925، لعب الدروز دوراً محورياً في مقاومة الاحتلال الفرنسي لسوريا، إذ رفضوا مشروع تأسيس دولة درزية، وأشعلوا شرارة الثورة السورية الكبرى بقيادة سلطان باشا الأطرش.

يبلغ عدد الموحدين الدروز في سوريا اليوم نحو 700 ألف نسمة، يتوزعون في السويداء، صلخد، شهبا، القريا في جبل العرب، إضافة إلى جرمانا قرب دمشق، ومجدل شمس في الجولان السوري المحتل.

هناك أكثر من مرجع روحي واجتماعي يحظى بدعم وتأييد واحترام داخل طائفة الموحدين السوريين.

وأهمّ هذه الشخصيات، هي المرجعيات الروحية في الطائفة، أي مشايخ العقل الثلاث، الشيخ حكمت الهجري والشيخ حمود الحناوي والشيخ يوسف جربوع.

بالإضافة إلى وجوه تتزعم وتقود فصائل مسلحة تشكلت خلال سنوات النزاع، أبرزها الشيخ ليث البلعوس قائد "قوات الكرامة"، وهو نجل الشيخ وحيد البلعوس المعارض للنظام السوري ومؤسس قوات الكرامة الذي توفي في حادث سيارة عام 2015.

وهناك أيضاً الشيخ سليمان عبد الباقي، قائد قوات "أحرار الجبل".

الدروز والانتفاضة في سوريا عام 2011

نجح الموحدون الدروز في تحييد أنفسهم مع بداية الانتفاضة السورية ضد النظام في عام 2011، وتحول المشهد إلى نزاع مسلح.

لم تنضم الغالبية من أبناء الطائفة إلى صفوف المعارضة للنظام، لكنهم في الوقت نفسه رفضوا التجنيد الإجباري في صفوف الجيش السوري.

وباستثناء الشيخ وحيد البلعوس، الذي عارض النظام السوري علناً حتى وفاته في حادث سيارة عام 2015، لم يحمل أبناء الطائفة السلاح إلا لتشكيل لجان مسلحة محلية تهدف إلى حماية مناطقهم.

وفي عام 2014، حاصر أبناء الطائفة مراكز الأمن التي احتجزت أبناءهم بسبب رفضهم التجنيد الإجباري، وتمكنوا من إطلاق سراحهم.

وتعرضت بعض مناطقهم لهجمات قليلة، على يد مجموعات من داعش وجبهة النصرة وبشكل خاص بين 2012 و2015.

لكنّ عام 2023، ومع هدوء مشهد الصراع المسلّح نسبياً في سوريا، نظّم قسم من دروز السويداء احتجاجات ضد النظام، وبدعم من المراجع الروحية – باستثناء الشيخ يوسف الجربوع المؤيد للنظام – للمطالبة علناً بإسقاط بشار الأسد.

وتركزت الاحتجاجات حينها في ساحة الكرامة قرب ضريح سلطان باشا الأطرش في السويداء.

ماذا بعد سقوط حكم الأسد؟

في أواخر تشرين الثاني من العام الماضي، شنت الفصائل المسلحة المعارضة بقيادة هيئة تحرير الشام هجوماً مفاجئاً انطلق من إدلب نحو حلب ومن ثم إلى مناطق أخرى تحت سيطرة النظام السوري.

وسقط النظام في سوريا بعد أكثر من ستة عقود من حكم حزب البعث، وبدأت التساؤلات تُطرح حول مصير سوريا بمختلف أطيافها في هذا المشهد الجديد.

كانت العلاقة بين الدروز والإدارة الجديدة في سوريا أمام اختبار جدي.

فالسلطة الجديدة تتكون غالباً من أعضاء هيئة تحرير الشام، وهي نفس الهيئة التي هاجمت في السابق السويداء عندما كانت تُعرف باسم جبهة النصرة تحت قيادة أحمد الشرع، الذي كان يُعرف وقتها بـ أبو محمد الجولاني.

أما المسألة الثانية التي تشكّل هاجسا للسلطة الجديدة في سوريا، فهي السلاح. فخلال سنوات النزاع، شكّل الدروز فصائل محلية مسلحة لحماية بلداتهم ومناطقهم.

وقال الشيخ حكمت الهجري في مقابلة على إحدى القنوات الفضائية العربية في كانون الثاني، إن التواصل مع الإدارة الجديدة بدأ فوراً بعد سقوط النظام.

وجّه الشيخ حكمت الهجري رسالة إلى أحمد الشرع خلال المقابلة، مطالبا بـ "التشاركية في الحوار والأفكار حتى نتمكن من تجاوز المرحلة الانتقالية بنجاح وتأمين المرحلة المقبلة التي يجب أن تكون أكثر دقة، إضافة إلى بناء قاعدة متينة لسوريا المستقبل".

جاءت هذه الرسالة بعد لقاء وفدٍ من الطائفة الدرزية مع أحمد الشرع في منتصف كانون الأول، حيث قال الشرع خلال اللقاء إنّ سوريا "يجب أن تبقى موحّدة، وأن يكون بين الدولة وجميع الطوائف عقد اجتماعي لضمان العدالة الاجتماعية".

شكلت أعمال العنف في منطقة جرمانة أولى تحديات العلاقة بين الطرفين، حيث وقعت اشتباكات بين مسلحين من الطائفة الدرزية وقوات من الأمن في المنطقة ذات الأغلبية الدرزية في بداية آذار.

لكن الأحداث الدامية الأخيرة في منطقة الساحل السوري، حيث تفيد التقارير بمقتل مئات المدنيين العلويين، دفعت الشيخ

الهجري إلى التصريح مطالباً بوقف العمليات العسكرية في الساحل.

ويقيم نحو 150 ألف درزي في إسرائيل، الغالبية منهم يعتبرون أنفسهم إسرائيليين واندمجوا بالفعل في المجتمع الإسرائيلي وجيشه. بينما يقيم 23 ألف درزي في الجزء الذي تحتله إسرائيل من هضبة الجولان، ويتسمك غالبيتهم بالهوية السورية، رافضين الجنسية الإسرائيلية.